فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا في عالم الكون قد سرت من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس
تجلى بها من كان عقلاً مجرداً عن الفكر والتخمين والظن والحدس
وأصبحت في بيضاء مثلي نقية إماماً وإن الناس فيها لفي لبس

ومن نظمه أيضا:

أنا المختار لا المختار غيري على علم من اتباع الرسول
ودنت الهاشمي أخا قريش بأوضح ما يكون من الدليل
أبايعه على الإسلام كشفاً وإيماناً لألحق بالرعيل
أقدم به وعنه إليه حتى أبينه لأبناء السبيل

وقد كان بعض الأولياء من أهل المعرفة الإلهية يقول: أعطي الشيخ الأكبر التفصيل، ونحن أعطينا التفصيل والإجمال، فظن بعض الناس من هذا أن هذه زيادة على الشيخ الأكبر.

قال بعضهم: وأنا أقول ليس الأمر كذلك، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء، الآية: 12]، فعلم اللَّه كله مفصل ويستحيل عليه الإجمال، والشيخ الأكبر كان كلما وجد الحق فصيّره إلى شيء أدركه تفصيلاً من غير إجمال، وهذا العارف كان العلم الذي يلقى إليه فيه التفصيل والإجمال، فكان مقام الشيخ أعلى.

ومن كراماته رضي اللَّه عنه:

ما حكاه صاحب القاموس في جواب له من أنه لما فرغ من تصنيف الفتوحات المكية وضعها على ظهر الكعبة ورقاً مفرقاً من غير وقاية عليه فمكث على ظهرها سنة ثم نزلها فوجدها كما وضعها ولم يمسسها مطر، ولا أخذ منها الريح ورقة واحدة مع كثرة الرياح والأمطار وهذا من أعظم الكرامات وأكبر الآيات وهو مما يدل على إخلاصه في تأليفها، وأنه بريء مما نسب إليه في تصنيفها، وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها إلا بعد ذلك.

ومنها أيضاً: ما حكي عنه قدس سره من أنه مكث مرة ثلاثة أشهر على

شيء واحد، وأنه اقتات من أول المحرم إلى عيد الفطر بلوزة واحدة.

ومنها: ما حكاه الشعراني في طبقاته قدس سره من أن شخصاً من المنكرين عليه أتى بعد صلاة العشاء بنار يريد أن يحرق بها تابوته، فخسف به دون القبر بتسعة أذرع، وغاب في الأرض، فلما علم أهله بالقصة جاءوا وحضروا فوجدوا رأسه، فلما حفروا نزل وغار في الأرض إلى أن عجزوا وردموا عليه التراب.

وكراماته ومناقبه لا تحصرها مجلدات.

ومما اتفق له أنه لما أقام ببلاد الروم أمر له ملكها بدار تساوي مائة ألف درهم، فلما نزل بها وأقام بها مر به في بعض الأيام سائل، فقال له: شيء للّه؟ فقال: ما لي غير هذه الدار، خذها لك، فتسلمها السائل وصارت له.

ولما حلَّ دمشق حصلت له بها دنيا كثيرة، فما ادخر منها شيئاً.

وقيل: إن صاحب حِمص رتّب له كل يوم مائة درهم، والقاضي ابن الزكي كل يوم ثلاثين درهماً، فكان يتصدق بالجميع، وكان يقول: أعرف اسم اللّه الأعظم، وأعرف الكيمياء والسيمياء بطريق التنازل، لا بطريق التكسب.

وحكى الشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب الوحيد في أخبار أهل التوحيد قال: حدثنا الشيخ عبد العزيز المنوفي قدس سره عن خادم الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس اللّه سره قال: كان الشيخ يمشي وإنسان يسبه وهو ساكت لا يرد عليه، فقلت يا سيدي ما تنظر إلى هذا؟ قال: ولمن يقول؟ قلت: يقول لك؟ فقال: ما يسبني أنا، قلت: كيف؟ قال: تصورت له صفات ذميمة وهو يسب تلك الصفات، وما أنا موصوف بها انتهى.

وهذه فضيلة تدل على غاية الفضل والكمال، وهي شبيهة بما ورد في حديث أبي هريرة من قوله عليه السلام: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ يَشْتِمُونَ مُذَمَّماً وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّماً وَأَنَا مُحَمَّدٌ**» رواه الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

وقد ترجمه غير واحد ممن عاصره أو تأخر عنه من الكبار، كالشيخ الإمام العارف باللّه أستاذ الحقيقة وشيخ الطريقة صفي الدين حسين بن علي بن أبي المنصور الأزدي الأنصاري في رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات